

حوار مع المؤرخ محمد البشير شنيقي

An Interview with Historian Mohamed El Bachir cheniti

الصالح بن سالم

جامعة محمد البشير الإبراهيمي - برج بوعريبيج

Salah.bensalem@univ-bba.dz

تاريخ القبول: 2026/06/27

تاريخ المراجعة: 2026/06/27

تاريخ الإرسال: 2026/06/23

الملخص: (بالعربية)

يقدم هذا المقال دراسة بيوغرافية للمسار الأكاديمي للمؤرخ الجزائري "محمد البشير شنيقي"، متبعاً مولده ونشأته في بلدة "مجانة" مروراً بمحطات تكوينه بمدينة الجزائر خلال الثورة التحريرية، وصولاً إلى استقراره بجامعة الجزائر التي قضى بها قرابة خمسة عقود بين الدراسة والتدريس والبحث تقلد خلالها مناصب إدارية رفيعة، ويسلط الضوء أكثر على إنتاجه العلمي الغزير في تاريخ الجزائر القديم، مبرزاً تميزه كأحد أعمدة المدرسة التاريخية الجزائرية، وتتأسس إشكالية هذا المقال على التساؤل التالي: من هو المؤرخ محمد البشير شنيقي؟ وماهي أبرز المحطات الرئيسية في مسيرته العلمية والمهنية؟

الكلمات المفتاحية: المؤرخ؛ حوار؛ محمد البشير شنيقي؛ تاريخ؛ المسيرة العلمية؛ المسار المهني؛ الجزائر.

Abstract: (In English)

This article provides a biographical study of the academic career of the prominent Algerian historian, Mohamed El Bachir Cheniti. It traces his early life and upbringing in the town of Medjana, follows his formative educational years in Algiers during the Liberation Revolution, and examines his ultimate establishment at the University of Algiers. Over nearly five decades at this institution, spanning his

time as a student, professor, and researcher, he held prestigious administrative positions. Furthermore, the study sheds light on his prolific scholarly output in ancient Algerian history, highlighting his prominence as one of the pillars of the Algerian historical school. Accordingly, the central thesis of this paper addresses the following questions: Who is the historian Mohamed El Bachir Cheniti? And what are the defining milestones in his scholarly and professional career?

Keywords: Historian; An Interview; Mohamed El Bachir cheniti; History; Scientific Career; Professional Career; Algeria.

Résumé : (En français)

Cet article propose une étude biographique du parcours académique de l'historien algérien "Mohamed El Bachir Cheniti". Il retrace sa naissance et son enfance dans la commune de "Medjana", examine les étapes de sa formation à Alger durant la Révolution de libération nationale, jusqu'à son établissement à l'Université d'Alger. Au sein de cette institution, il a passé près de cinq décennies, oscillant entre études, enseignement et recherche, tout en occupant de hautes fonctions administratives. L'accent est mis particulièrement sur sa prolifique production scientifique dédiée à l'histoire ancienne de l'Algérie, mettant en relief sa stature de pilier de l'école historique algérienne. Dès lors, la problématique de cet article s'articule autour des questionnements suivants: Qui est l'historien Mohamed El Bachir Cheniti? Et quelles sont les étapes majeures qui ont jalonné sa carrière scientifique et professionnelle?

Mots clés: L'historien; Entretien; Mohamed El Bachir cheniti; Histoire; Le parcours scientifique; La carrière professionnel; L'Algérie.

في إطار مساعيها الحثيثة لثمين الرصيد الرمزي وتخليد الذاكرة المعرفية لبلدة مجانة (ولاية برج بوعريج)، نظمت الجمعية الثقافية لحفظ التاريخ والتراث ندوة علمية موسومة بـ "مجانة تحتفي بأعلامها" في 19 أفريل 2025، وقد تركزت أعمال هذه الندوة حول المؤرخ القدير الأستاذ الدكتور محمد البشير شنيقي، بحضور كوكبة من الأكاديميين، يتقدمهم المؤرخ الدكتور محمد الأمين بلغيث والدكتور عبد الحميد بودرواز. وقد كان لنا شرف إدارة هذه الجلسة واستنطاق مكنونات مسيرة الدكتور شنيقي عبر حوار معمق غاص في محطات غير مطروقة من حياته البحثية والمهنية والإنسانية، وهو ما يستوجب منا تقديم سيرته الذاتية قبل عرض تفاصيل الحوار.

استهلّت حياة الدكتور محمد البشير شنيقي في قرية "مخمرة" ببلدة الياشير التابعة لمجانة التاريخية بتاريخ 12 جويلية 1939، حيث تلقى تعليمه الأولي في الكتاتيب القرآنية التي صقلت لغته وبناءه الفكري بحفظ القرآن الكريم والمتون الشرعية. وإثر السياسات الاستعمارية الجائرة التي طالت قريته بالحرق والتدمير، انتقلت أسرته إلى الجزائر العاصمة، وهناك واصل تحصيله في المدارس الحرة التي لم يلبث أن أصبح أحد مدرسيها الفاعلين. ومع بزوغ فجر الاستقلال، انخرط الدكتور شنيقي في أولى دفعات المعلمين الجزائريين الذين رفعوا التحدي لتعويض الفراغ التربوي عقب انسحاب الكوادر الفرنسية، حيث بدأ مساره التعليمي الرسمي في سبتمبر 1962، موازياً بين أداء رسالته المهنية والتحصيل العصامي لنيل الشهادات الأهلية والكفاءات التربوية، وصولاً إلى الالتحاق بالجامعة عام 1968.

شهدت المرحلة الجامعية تبلور التخصص الدقيق للدكتور شنيقي، حيث اختار التاريخ مجالاً لبحثه، وتوج مساره بنيل شهادتين في التاريخ والجغرافيا بحلول عام 1970، مما أهله للتدريس في التعليم الثانوي لسنوات. بيد أن طموحه المعرفي دفعه نحو الدراسات العليا، حيث تخصص في التاريخ القديم، معالجاً موضوع "سياسة الرومنة في بلاد المغرب" عام 1974، ثم نيله دكتوراه الحلقة الثالثة عام 1981 حول

التغيرات الاقتصادية والاجتماعية أثناء الاحتلال الروماني، وصولاً إلى ذروة التنويع الأكاديمي بنيل دكتوراه الدولة من جامعة "إكس أن بروفانس" بفرنسا عام 1993 بمرتبة مشرف جداً مع التوصية بالطبع، ليصبح بذلك أحد المراجع الوزنة في دراسات المغرب القديم.

وعلى الصعيد المؤسسي، تدرج الدكتور شنيقي في الرتب الأكاديمية بجامعة الجزائر منذ عام 1975، وصولاً إلى رتبة أستاذ التعليم العالي، مع تولي مسؤوليات إدارية وعلمية مرموقة؛ حيث تقلد منصب مدير معهد الآثار وعميد كلية العلوم الاجتماعية، فضلاً عن رئاسة اللجنة البيداغوجية الوطنية للآثار. ولم يقتصر أثره على الحرم الجامعي، بل امتد ليشمل المؤسسات السيادية والتاريخية عبر عضويته في المجالس العلمية للمتحف الوطني للمجاهد والمركز الوطني للدراسات التاريخية، ومساهمته المحورية في صياغة المناهج التربوية، وتأليف الكتب المدرسية لمادة التاريخ، مما جعله مهندساً لبناء الوعي التاريخي لدى الأجيال الناشئة.

ختاماً، توجت هذه المسيرة الحافلة بالعطاء بتقدير وطني وعربي واسع، تجسد في نياله وسام المؤرخ العربي، وشهادات تقديرية من رئاسة الجمهورية وجامعة الجزائر في مناسبات مختلفة، وصولاً إلى تكريمه الأخير بوسام الاستحقاق من وزارة المجاهدين عام 2025.

المسيرة العلمية للدكتور محمد البشير شنيقي تكللت بعشرات الدراسات الرصينة والجادة في التاريخ القديم والتي أضحت مرجعاً للباحثين والطلبة في هذا التخصص الصعب، ولعل من أهم مؤلفاته: (مدخل إلى تاريخ الجزائر القديم)، (علم الآثار: تاريخه، منهجه، مفرداته)، (الجزائر قراءة في جذور التاريخ وشواهد الحضارة)، (الجزائر النوميديّة)، (تاريخ الجزائر من خلال المسكوكات)، (التاريخ المرجع للأمة العربية)، (تمهيد حول ما قبل التاريخ في الجزائر) ترجمة عن الفرنسية، (التغيرات

الاقتصادية والاجتماعية في المغرب أثناء الاحتلال الروماني)، (الجزائر في العصر القديم)، (الاحتلال الروماني لبلاد المغرب)، (الجزائر في ظل الاحتلال الروماني)، (أضواء على تاريخ الجزائر القديم)، (روما الامبراطورية وبلاد المغرب سجال عسكري وتفاعل حضاري)، (معجم المصطلحات الأثرية)، (تاريخنا القديم في كتابات اليونانيين القدماء)، (سياسة الرومنة في بلاد المغرب من سقوط الدولة القرطاجية إلى سقوط موريطانيا)، (الدين والسلطة السياسية جدلية القيم والحكم في تاريخ البشرية)، (دراسات في التاريخ والآثار القديمة بالجزائر وبلاد المغرب)، (العملة والدولة، قراءة في دور العملة في الاقتصاد والسياسة عبر التاريخ الوسيط والقديم).

إن هذا الرصيد الحافل يجعل من حوارنا معه¹ وثيقة تاريخية ومنهجية بالغة الأهمية، نستعرض تفاصيلها فيما يلي.

■ هل شكّل التقاعد الأكاديمي للأستاذ محمد البشير شنيقي انقطاعاً عن وتيرة الإنتاج الفكري والعطاء البحثي، أم فتح آفاقاً جديدة لاستكمال مشروعه العلمي؟ وكيف يقيم سيادته حصاد مسيرته الحافلة بين أروقة الجامعة وميادين البحث التاريخي؟

بسم الله الرحمن الرحيم أشكركم على هذه الفرصة التي أتاحتموها لي، في الحقيقة أنا في العادة لا أحبذ الحديث عن نفسي وعن نشاطاتي. لكن الضرورة تجعلني أجاوب مع هذا الطلب، والذي يتعلق أساساً بشخصي بحكم أن محمد البشير شنيقي شخصية عمومية بما أنني أعمل في حقل ثقافي وعلمي والذي يهم الجزائريين عموماً، ومن حقهم أن يعرفوا البعض من مسيرة محمد البشير شنيقي الذي يهتم بهذا الحقل بما تأتى له من قدرة وامكانات ومن جهد، ولذلك اجابة عن سؤالكم فإن الفترة الأخيرة لي ما بعد التقاعد وجدت نفسي في جو أفضل بكثير من الجو الذي كان يحيط بي في العمل نظراً للالتزامات المختلفة المعروفة، ولذلك أحاول من خلال هذه الفرصة المتاحة لي أن أتعلم أكثر في الدراسة وأتمعن في المعارف التي مرت بي والتي اكتشفتها فيما بعد والتي جمعتها إلى حين تفرغي، ولذلك أعتبر أن ما كتبت وما أكتبه إلى حد ما نضجاً للذي أديته

¹ - تم اجراء هذا الحوار بفندق "لينا" بمدينة برج بوعريريج بتاريخ 18 أبريل 2025.

أثناء العمل، فأنا أداوم على الكتابة ولي طموح إن ساعفتني الصحة ومنحي الله بركة في عمري أن أنجز بعض الأعمال لكي أساهم بها في هذا الميدان، فالحمل بالنسبة للباحث والمؤرخ هو مصاحب لحياته مادام أنه قادر على الانتاج والعطاء، أما الذي يركن للراحة بعد تقاعده فلا أستطيع أن أكون مثله، فالكثير من الزملاء يذكرون لي بأنهم تعبوا كثيرا في مسيرتهم وأن للفارس أن يستريح لكنني أعتبر هذا الكلام غير طبيعي بالنسبة للمؤرخ والباحث أو من يريد أن يكون له طريق ومنهج أو شبه مدرسة في بلده فليس من حقه أن يستريح وأن يضع قلمه مادام أنه يستطيع تقديم المزيد.

هذا ما يتعلق بالشطر الأول من سؤالكم، أما الشطر الثاني حول الاهتمامات فأنا أعتبر نفسي غير مختص في فترة محددة، صحيح كنت مختص في الفترة القديمة لكن ذلك الاختصاص الدقيق أو الضيق كان مرتبطا بالمهنة، والتي تتطلب من الأستاذ تدريس مقاييس معينة يداوم عليها، وأيضا الرسالة الجامعية (الماجستير، الدكتوراه) التي تتطلب البحث في موضوع دقيق زمانا ومكانا، غير أنني أعتبر نفسي طالب تاريخ وحضارة مهتم بحياة الإنسانية جمعاء وحياة الإنسان منذ نشأة الحضارة إلى يومنا هذا لأن التاريخ متتابع ولأن الحضارة تعتمد على التراكمية، وترتكز الحضارة الإنسانية على ما يعرف بالقيم، فالقيم الدينية والاجتماعية والثقافية لجميع الشعوب عندما نبحت فيها نجدها متصلة ببعضها البعض، والكثير منها متشابه ومتطابق وأعمال الإنسان عبر التاريخ بغض النظر عن الفترات التي عاش فيها هي أعمال مترابطة ومتلاحقة ومؤثرة في بعضها ولذلك تتردد مقولة: "التاريخ يعيد نفسه"، والحقيقة أن التاريخ لا يعيد نفسه ولكنه يكرر بطريقة أو بأخرى اهتمامات وأفكار وعقليات الناس، فالتاريخ عبارة عن حلقات، ولكي يفهم لا بد أن يقسم إلى فترات، ولذلك ظهرت هذه الاختصاصات: (القديم، الوسيط، الحديث، المعاصر)، وأعتبرها شخصا تقسيمات اعتبارية، وفيها الكثير من الاجحاف.

ومن هذا الجانب يجب على المؤرخ أن يمتلك النظرة الشاملة للتاريخ، فلا يمكنه فهم التاريخ فهما جيدا لفترة ما أو منطقة ما أو أحداث ما دون أن يكون لديه

إمام بالفترة التي سبقتها وبما جاورها، فالتاريخ هو تفاعل الإنسان ضمن الجغرافيا، والتاريخ والجغرافيا مرتبطان ببعضهما البعض، الماضي والحاضر مرتبطان، والمستقبل حصيلة للحاضر، والذي هو حصيلة للماضي، فالمستقبل هو حصاد لما نغرسه اليوم، ولذلك فالتاريخ مترابط، وانطلاقاً من هذا المعطى فإنني أصبحت أهتم بجميع فترات التاريخ من ماقبل التاريخ إلى العصر الإسلامي، وعندما تفرغت من العمل انطلقت في الاشتغال على موضوع آخر شامل، وهو دراسة جميع الحضارات بما فيها الفترة المعاصرة، وهو العمل الذي أنا بصدد اتمامه حول "الدين والسلطة السياسية، جدلية القيم والحكم" أي بمنظور آخر أو زاوية أخرى الدين والسلطة موضوعين مختلفين لكنهما مترابطين ومتشابكين في زاوية القيم. لأن جميع الأمم وجميع الشعوب تسعى للقيم، وحتى الأفراد والجماعات والمرشدين والدعاة كلهم يعتمدون معيار القيم.

ليست قيم الخير والشر فقط. بل القيم التي تجعل من الإنسان إنساناً، قيم العدالة، قيم المساواة، قيم الخير، قيم الرحمة، جميع الحضارات والديانات التي تشترك فيها وتتفق عليها وتأخذها كمعايير، ولذلك أردت أن أتبع هذه الجزئية "الدين والسلطة السياسية" هذه الثنائية في تاريخ البشرية، السلطة الدينية والسلطة السياسية يتفقان أحياناً ويفترقان أحياناً ويتشابكان أحياناً أخرى. لكن لا يستطيع الدين الاستغناء عن السياسة والعكس، ولكي أبين بأن العلاقة موجودة في جميع الحضارات وملازمة لجميع الشعوب أخذت نماذج من الحضارات المتعارف عليها في العالم والبشرية، بدءاً بالحضارات القديمة على غرار الحضارة الفرعونية وحضارة بلاد الرافدين وحضارة فارس ثم الحضارات الكلاسيكية كالرومانية واليونانية.

لماذا؟ لأن الدين والسلطة كانا متلازمين في الحضارات الأولى، الفرعونية وبلاد الرافدين والصينية والهندية والفارسية. لكن في الحضارة الكلاسيكية ظهر عنصر جديد في السياسة، وهو الفكر الذي أخذ دور الدين التقليدي كما هو في مصر وبلاد بابل والهند والصين، وأخذ يتزاح فبدأ يخلفه العقل والفكر، وبدأ يظهر الفكر السياسي لبناء السلطة والحكم، فظهرت الفلسفة التي غيرت مفاهيم الدين والسلطة، هذه الفترة

الزمنية وأقصد بها الحضارتين الرومانية واليونانية، وبعد زوال الحضارات ذات الديانة الوثنية جاءت الديانة التوحيدية، ومعهما طغى الجانب الديني على السلطة السياسية، وتم إعادة تشكيل العنصر البشري تشكيلا ايدولوجيا، بينما السلطة السياسية تلاشت تدريجيا عند اليهود والنصارى.

فالدين الوثني لم يكن قادرا على ترميم الإمبراطورية الرومانية التي كانت تسير حينها نحو الزوال لأن الدين الوثني أصبحت تنافسه الفلسفة والفكر، كما كانت اليهودية والمسيحية تضغطان عليه أيضا. وبعد تبني قسطنطين للمسيحية أصبحت هذه الديانة جزء من السلطة السياسية، فصعدت سلطة الدين وتراجعت السلطة السياسية، وأصبح الحكام والملوك يقلون أهمية، وتراجعت مكانتهم أمام تعاضم رجال الدين، وهو ما مهد لظهور مؤسسة الفاتيكان، وأصبح البابا هو من يضع التاج على رؤوس الحكام على غرار شارلمان وفريديريك وشارلكان ... وبذلك أضحت المناصب السياسية تحت رحمة السلطة الدينية، واستمر الأمر على هذا المنوال في العصور الوسطى بينما تمكنت الفلسفة والفكر في العصور الحديثة من العودة إلى مكانتهما.

وهنا بدأ الفكر المسيحي في التراجع ووقعت خلافات بين البابوات من جهة والملوك من جهة ثانية، وتدرجيا بدأت الكنيسة تزاح من الساحة وظهر فكر جديد: الماسونية، العلمانية، اللاتكية، وترسخت أكثر مع الثورات الغربية (الفرنسية، البروسية ...)، والتي ظهرت معها قيم وشعارات جديدة تختلف عن تلك القيم والشعارات التي كرستها الكنيسة لقرون من الزمن، وبذلك تعاضمت السلطة السياسية وتراجع دور السلطة الدينية إلى أن انزاح تماما دور الكنيسة ولم يعد لها أي دور وأبعدت من الواجهة تماما، وتعاضم دور السلطة السياسية الليبرالية الأحادية العلمانية التي لا تعترف بشيء اسمه "الدين" بل أن العلمانية أصبحت بمثابة الدين المقدس عند الكثير من البشر، ولا يمكن لرجال الدين الطعن فيها، ولذلك فالملاحظ أن الدين والسياسة تعايشا منذ أقدم الأزمنة في الغرب.

أما الجزء الثاني من العمل فقد خصصته للعالم الإسلامي الذي بدأ بمرجعية مختلفة تماما بالنسبة للسلطتين السياسية والدينية. فالدين الإسلامي جاء بقيم مختلفة تماما بداية بمحاربة الوثنية والعصبية القبلية، وحتى الخلافة لم يفصل فيها النبي عليه الصلاة والسلام بعده، وتركها شورى بين المسلمين لأنها شأن دنيوي، والأساس هو في الإسلام الذي هو الرسالة التي يجب المحافظة عليها، بينما شأن الناس فقد تركه للناس، ولذلك أول مشكلة وقعت بعد وفاته هي قضية الخلافة في سقيفة بني ساعدة بعد الخلاف الذي نشب بين الأنصار والمهاجرين، فالمهاجرين استندوا للعصبية القبلية واعتبروا أن النبي عليه الصلاة والسلام من قريش، ولذلك يجب على خليفته أن يكون أيضا من قريش، بينما الأنصار اعتبروا أنفسهم الأولى بالخلافة بحكم أنهم أصحاب الدار وأنهم هم من نصر الإسلام لما كان ضعيفا.

وبعد نهاية فترة الخلفاء الأربعة تحولت الخلافة من نظام شورى إلى نظام وراثي ملكي لدى أسرة بني أمية وبعدهم بنو العباس، وبذلك انتقلت الخلافة الإسلامية للاعتماد على القيم السياسية أو ما يعرف بالمصلحة السياسية، والشورى أصبحت صورية فقط انحصر دورها في العائلة وبين فقهاء وعلماء البلاط، وبذلك ظهرت لأول مرة في العالم الإسلامي الأحزاب السياسية تحت مسميات "حركات مذهبية" على غرار الشيعة والخوارج، فهؤلاء لم يختلفوا حول أمور فقهية ودينية. بل جوهر اختلافهم هو سياسي لأنهم أرادوا السلطة والحكم، وبذلك فإن القيم التي قامت عليها الدولة الإسلامية بدأت تختفي تدريجيا ويظهر للواجهة الصراع بين السلطة الدينية والسلطة السياسية، وتعاظمت قوة السلطان خصوصا مع عهد الدولتين الأموية والعباسية الذين احتكروا السلطة وجعلوا منها وراثية في الأسرة، وبذلك ظهرت المعارضة السياسية، وقد اعتبرتها شخصا خرجا عن القيم الإسلامية، فالله سبحانه وتعالى يقول في محكم تنزيله: "كنتم خير أمة أخرجت للناس"، ليس بالملك والسياسة بل بالقيم التي بلغ بها المسلمون عن طريق النبي عليه الصلاة والسلام أوج الحضارة البشرية في ذلك الوقت.

هذا مختصر للعمل الذي اعتكف على انجازه حاليا، والذي خرجت من خلاله من الرومنة وقرطاج وغيرها بحكم أن تلك المواضيع كما ذكرت سلفا كانت لضرورة المهنة لتدريس الطلبة وتأدية مهامهم، وبذلك تجربة "الدين والسياسة" جعلتني كأني أعيش تاريخ البشرية من أقدم العصور إلى وقتنا هذا، وبذلك المؤرخ الحقيقي هو الذي يتناول كل شيء حتى يفهم كل شيء، وإذا تناول جزئية صغيرة فإن فهمه سيكون مقتصرًا على فترة معينة، وفترة الماجستير والدكتوراه والدراسات العليا هي ضرورة للباحث، وذلك للتمرن واكتساب الدقة والمنهجية وترويض الفكر على النقد. لكن هذا الباحث عليه لاحقا أن يتحرر ولا يبقى أسير هذا الموضوع أو الفترة أو التخصص، وهذا لا يمكن أن نطلق عليه لقب مؤرخ بل شخص تقني متخصص في تلك الجزئية أو الحقبة فقط. بينما بقية الحقب والفترات تجده وكأنه أُمي فيها.

■ لو استنطقنا ذاكرة البدايات لدى الأستاذ محمد البشير شنيقي؛ كيف يصف لنا ثنائية "المولد والتحول" بين مجانة والجزائر العاصمة؟ وما هي المؤثرات الأولى التي وجهت بوصلته نحو التحصيل العلمي المتميز في مقتبل العمر؟

حقيقة طفولتي كانت طفولة بائسة مثل كل الجزائريين، طفولتي كانت مرتبطة بمرحلة تاريخية حساسة مرت بها الجزائر، وهي مرحلة الحرب العالمية الثانية. خلال هذه الفترة مرت الجزائر بظروف قاسية جدا، وهي ظروف الأوبئة والقحط الذي أصاب الجزائريين. بحيث وأنا صغير عرفت المنطقة التي نشأت فيها سقوط كميات كبيرة جدا من الثلوج وبالضبط سنة 1945، مع زحف مرض التيفوئيد الذي حصد أعداد كبيرة من الناس، فقريتنا فقدت أشخاص كثر، إذ سجلنا وفاة أو أكثر في كل أسرة تقريبا، وبسبب بعد المقبرة وكميات الثلوج التي كان سمكها يفوق (1.5 متر)، وجد سكان القرية مشكل كبير في عملية دفن الجثث، فكان السكان يحاولون فتح الطريق إلى المقبرة. لكن الثلوج المتساقطة كانت تعيقهم من التقدم، فأشار لهم أحد كبار سكان القرية واسمه "رابح بن السعيد" بردم الموتى في الثلج، وقد دام سقوط الثلوج حوالي 45 يوما، وبعدما

توقف سقوط الثلج تم فتح الطريق إلى المقبرة، فوجدنا الجثث مجمدة وكانت كل هذه الأحداث تحت أنظارنا ونحن أطفال صغار.

وبذلك فقد كانت طفولة مأساوية جدا، وبالنسبة للتعليم فكان من حظ الأسر الجزائرية أنه كانت كل قرية لها معلم خاص، وكان سكان القرية يتكفلون بأجرة ونفقة ذلك المعلم (الطالب)، رغم ضيق العيش، وكان أغلب المعلمين من خريجي الزوايا يتكفلون بتعليم القراءة والكتابة والقرآن الكريم بدرجة أولى، وكان في قريتنا كتاب أو جامع، وكنت من الأطفال المحظوظين الذين التحقوا بهذا الجامع من إخوتي، فقد فضلي والذي رحمه الله على إخوتي لاستكمال دراستي بعدما لمس في شغف وحب القراءة.

فقد كنت أتابع مع والدي مطالعة جريدة البصائر التي كان يقرأها كليا، وأيضا كتب التاريخ على غرار فتوحات إفريقية وفتوحات الشام التي أتى بها من بلاد الشام، وكنا نسهر على مطالعتها في الليل على شمعة تنير لنا المنزل أو المصباح الزيتي لاحقا (الكانكي)، وكنت أتولى القراءة بينما والذي يقوم بالتفسير والشرح، وبذلك بدأ اهتمامي وشغفي بالأحداث التاريخية، ومع المداومة على حفظ القرآن الكريم الذي وصلت فيه إلى النصف (سورة مريم)، مع المتون اللغوية والشرعية على غرار: الأجرومية، الألفية، ابن عاشر، مختصر خليل التي كنا نكتبها في هامش اللوحة المخصصة للقرآن الكريم.

لكن الاستعمار البغيض وبعدما وصلته أخبار من أحد سكان المنطقة تمكن من مدهمة القرية ليلا وكان ذلك في حدود 1959 أين تم تدمير القرية عن بكرة أبيها، وقد سقط عدد كبير من الشهداء، وكان من بين هؤلاء "السعيد زروقي" الذي كان يقود فريق النخبة. وهو ما أدى إلى تشتت شمل القرية ففرقت الأسر، الوالد كان مثقف ثقافة عامة وقد نقل إلى بلاد الشام في إطار الخدمة العسكرية الاجبارية الفرنسية، وكان عدد الإخوة (11) منهم (06) ذكور و(05) إناث، بعضهم أكمل دراسته والبعض الآخر لم يدخل للمدرسة.

أما ظروف انتقالنا إلى العاصمة، فيحكم استقرار شقيقي الأكبر بمدينة الجزائر العاصمة لممارسة التجارة عند أحد الأقارب هناك قرر الوالد نقل الأسرة إلى العاصمة بعد تلك الحادثة من طرف الاستعمار الفرنسي سنة 1959، فقد تمكن الوالد من اقتناء قطعة أرض وهناك شيدنا عليها منزلنا العائلي، في العاصمة وجدت عالم جديد حيث وجدت مدارس كثيرة سواء النظامية أو المدارس الحرة التي كانت تديرها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وأخرى تتبع لحزب الشعب، حتى أن بعض الأحياء يقوم ساكنته بفتح مرآب يخصص كمدرسة للأطفال، فكانت لي حينها فرصة أن أكون معلما ومتعلما في نفس الوقت، وأحتك بنخب كثيرة هناك.

وبعد الاستقلال مباشرة وعلى اثر مغادرة المعلمين الفرنسيين بقيت المدارس من دون تأطير، فقامت الحكومة المؤقتة بنشر نداء لكل المعلمين بالمدارس الحرة على المستوى الوطني للالتحاق بالتعليم الرسمي في اللغتين العربية والفرنسية، وأقاموا لنا دورات تدريبية في معهد بوزريعة لتكوين الأساتذة، وكان من تسيير أحد الفرنسيين ويساعده الشيخ محمد الحسن فضلاء، وفي شهر سبتمبر من سنة 1962 تم تعييننا في المدارس النظامية، وقد تم تعييني حينها في مدرسة "بكاى" بحي الينابيع (العناصر)، وأتذكر جيدا اليوم الأول لي في التدريس بتاريخ 17 سبتمبر 1962 دخلت القسم وبعد الترحيب بالتلاميذ كتبت لهم على السبورة: "بسم الله الرحمن الرحيم" فكانت بالنسبة لهم شيء غريب لم يعتادوا عليه مع الفرنسيين.

في نفس الوقت الجامعة فتحت أبوابها للطلبة الذين انقطعوا عن الدراسة خلال الثورة التحريرية، وذلك في إطار ما يعرف بالدروس الليلية، كما كنا ندرس في الورشات الصيفية التابعة لوزارة التربية مع اجراء امتحانات رسمية، وخلالها تحصلت على شهادة الأهلية (التعليم المتوسط)، بعدها أجريت لنا وزارة التربية امتحان آخر لنيل شهادة الكفاءة الأولى والثانية للمعلمين، والتي تعادل شهادة البكالوريا الأولى والثانية، والتي سمحت لنا بالالتحاق بالجامعة بعد إجراء مسابقة.

درسنا في الجذع المشترك بالسنة الأولى لدى أساتذة من المشرق العربي وكذلك أساتذة جزائريين أذكر منهم: الشيخ أحمد حماني، الدكتور شوقي مصطفى، الدكتور عبد الله شريط، وكان كل أستاذ يزودنا بقائمة المراجع مع البحوث، ويجري بعدها امتحان كتابي وشفوي، وبعد النجاح أتيت لنا خيارات منها الفلسفة التي كنت متفوقا فيها والجغرافيا. لكنني اخترت التاريخ وذلك نظرا للرصيد الذي اكتسبته في صغري مع الوالد، وبعد الولوج إلى قسم التاريخ اخترت تخصص التاريخ القديم بعدما طالعت كتاب فرنسي مهم صدر سنة 1930 بمناسبة مئوية الاحتلال الفرنسي للجزائر عنوانه: "التاريخ والمؤرخين الفرنسيين 1830-1930"، وقد أثار انتباهي وقررت أن أدرس هذه المرحلة لأنها مهمة جدا لمعرفة ماضي الجزائر قبل 1830 وهو تخصص صعب جدا يتطلب مجهود كبير.

■ كيف يقرأ الأستاذ محمد البشير شنيقي ملامح تكوينه في طور الدراسات العليا، وما هي الرهانات العلمية التي طبعت أبحاثه آنذاك؟ وبالموازاة مع ذلك، ما هي أبرز المحطات المفصلية في مساره الوظيفي داخل الجامعة الجزائرية، وكيف ساهمت تجربته الإدارية والعلمية في إثراء المشهد الأكاديمي الوطني؟

رحلتي ضمن الدراسات العليا كانت مرحلة لا بد منها، فلم أكتفي بشهادة الليسانس والتدريس ضمن طور الثانوي، مع أن التدريس في مرحلة التعليم الثانوي في ذلك الوقت كان له قيمة كبيرة. لكن الكتابات الفرنسية بالخصوص حول الفترة القديمة استفزتني بضرورة اكمال الدراسات العليا لاستخراج العيوب والاطلاع على المزالق الفكرية الموجودة في هذه الكتابات، والتي لا يمكن للباحث أو الطالب العادي أن ينتبه لها وبذلك سرت في هذا الاتجاه، وهو تخصص صعب جدا بحكم عدم تواجد أساتذة جزائريين متخصصين في هذه المرحلة، وحتى زملائي في هذا التخصص كلهم مفرنسين وأنا القادم من الكتاب والمدارس العربية الحرة.

كان من واجبي أن أساهم في تسيير المؤسسة الجامعية كأستاذ ومكون فطلب مني أن أساهم في تسيير معهد العلوم الاجتماعية كمدير للدراسات عندما كان ذلك المعهد يشمل مجموعة كبيرة من التخصصات قبل أن تتفرع لاحقا إلى معاهد مستقلة، وكان ذلك في عهد الوزير محمد الصديق بن يحيى الذي أعاد تنظيم المؤسسات الجامعية، فحول الكليات إلى معاهد وكان من بينها معهد العلوم الاجتماعية، فكانت مديرا للدراسات والأعمال البيداغوجية والعلمية بالتعاون مع المجلس العلمي واللجان البيداغوجية.

وعندما أعيد تنظيم المؤسسات الجامعية في عهد الوزير عبد الحق برارحي الذي أعاد ترتيب الجامعة في شكل تخصصات، بادرت مع بعض الزملاء إلى اقتراح فتح تخصص جديد يتعلق بالآثار، فتم تأسيس معهد الآثار، وكنت حينها استفدت من تكوين اقامي لإكمال أطروحتي للدكتوراه في باريس، فطلب مني الوزير العودة إلى الجزائر لاستلام إدارة هذا المعهد الجديد، فشرعت في رسم ملامح وأسس هذا المعهد، وذلك بالاستعانة بمجموعة من المتخصصين من جامعات غربية مرموقة على غرار جامعة أكسفورد وجامعة كامبردج الذين ساعدونا في وضع برنامج متطور في الدراسات الأثرية نستقل فيه عن البرنامج الفرنسي.

وعلى ضوء ذلك شرعنا في العمل ووضعنا له ثلاث شعب كبرى، شعبة آثار ما قبل التاريخ، وشعبة الآثار القديمة، وشعبة الآثار والفنون الإسلامية، وكانت هذه الشعب تتماشى مع حاجة البلاد لمتكئين في الآثار للقيام بالحفريات وحفظ التراث الأثري الجزائري، لأن هذه المحطات الثلاث: (ما قبل التاريخ، التاريخ القديم، التاريخ الإسلامي) هي المحطات الرئيسية في تاريخنا الوطني، لأن المدرسة الفرنسية هي التي اشتغلت على هذه الحقب وأصبحت المصدر الوحيد أمام الباحثين الجزائريين، بحكم أن هذه الدراسات الأثرية الفرنسية كانت جلها ان لم نقل كلها تتناسب مع الإدارة الكولونيالية الفرنسية وفي خدمة توجهاتها في الجزائر، فكانوا يركزون على المواضيع التي

تخدم الإدارة الاستعمارية. حيث كانوا يركزون على الأمور السلبية في المجتمع الجزائري مع وصف المقاومة الجزائرية للاحتلال الأجنبي القديم بأوصاف سيئة مما يجعل القارئ الجزائري لهذه الأحداث يحس بالنقص أمام الشعوب والحضارات الأخرى، هذه الأمور هي التي جعلتنا نتصدى لهذه الدراسات بطريقة أكاديمية، وذلك من خلال إعادة قراءة تاريخنا من جديد بالعودة إلى النصوص الأثرية القديمة التي تساعدنا على اكتشاف الحقائق كما هي وفتحها للفرد الجزائري تاريخا خاليا من تشويه الاستعمار الفرنسي.

ولذلك زاجت تكويني بين التاريخ والآثار، وكان أول عمل لي في مجال التأليف - مساعدة للطلبة والباحثين - هو ترجمة كتاب (تمهيد ما قبل التاريخ في الجزائر) الذي كتبه أحد المختصين اليهود والذي غادر الجزائر بعد الاستقلال واسمه "كلود براهيمي"، فاتفقت مع صديقي الأستاذ رشيد بورويبة على نقله إلى اللغة العربية حتى يستفيد منه طلبتنا في المعهد، وحتى في المشرق العربي الذين لا يعرفون شيئا عن حقبة ما قبل التاريخ في الجزائر، فقد كنت مهموما بإتاحة المعرفة التاريخية والأثرية لطلبتنا في المعهد باللغة العربية بحكم أن كل الدراسات الأثرية كانت باللغة الفرنسية.

كما قمت بتوجيه طلبة المعهد لاستكمال دراساتهم العليا في الخارج وبالضبط نحو باريس حيث تكونوا بمعهد الدراسات الإنسانية، وهو معهد يهتم بفترة ما قبل التاريخ على أيدي مجموعة من الباحثين المتخصصين في هذه الفترة، ونخص بالذكر ليونال بالو وغابريال كامبس، وقد عاد مجموعة من هؤلاء الباحثين الشباب لتدعيم معهد الآثار حديث النشأة، وكان من بين هؤلاء محمد سحنوني الذي أصبح أحد كبار الباحثين المتخصصين في فترة ما قبل التاريخ بالعالم وليس بالجزائر، وقد حاول الباحثون الفرنسيون محاربته علميا وعرقلة أبحاثه، خصوصا عندما أصبحت أبحاثه تنشر في كبار المجلات العلمية، ونظير أبحاثه حول موقع عين الحنش بالعلمة بحكم أن الفرنسيون وصلوا إلى 500 ألف سنة بينما وصل محمد سحنوني إلى 02 مليون سنة، ولذلك فأنني أشعر باعتزاز كبير بنظير هذه الثمرة التي ساهمنا في تكوينها.

■ تمثل تجربة الكتاب المدرسي في مسيرة الدكتور محمد البشير شنيقي جسراً بين البحث الأكاديمي والصرف وبين التكوين التربوي العام؛ فكيف يقرأ حصاد هذا الالتزام المني الطويل؟ وما هي الرؤية التي انطلقت منها لضمان التوازن بين الدقة العلمية والمقصد التربوي؟

ان كتاب التاريخ المدرسي له أهمية كبيرة في غرس الروح الوطنية أو المناعة الوطنية لدى الأجيال، والذي دفعني لخوض هذه التجربة هو احساسي بجزء من المسؤولية المعنوية لتكوين الأجيال الصاعدة، وأيضا التصدي للمناهج التي حاولت المدرسة الكولونالية غرسها في النشء الجزائري، وكان العديد من طلبي المتخرجين من قسم التاريخ والآثار تقلدوا مناصب كمفتشين في قطاع التربية الوطنية فطلبوا مني يد المساعدة من أجل الاشراف على الكتاب المدرسي الرسمي، وكان في عهد الوزير أبو بكر بن بوزيد والذي نسق مع وزارة التعليم العالي، حيث كلفني مدير الجامعة بضرورة المساهمة في الكتاب المدرسي، فتم تعييني عضو في اللجنة الوطنية للمناهج، فكننت مسؤولا عن المناهج المتعلقة بالهوية على غرار: التاريخ والجغرافيا والتربية الإسلامية، فشرعت برفقة زملاء في وضع مناهج التدريس مع الكتب الخاصة بالتعليم المتوسط والثانوي، والحمد لله ساهمنا في هذا الواجب.

■ لقد كان لكم دور ريادي في اللجنة الوطنية للمناهج وفي مساعي توطين المعرفة باللغة العربية داخل الجامعة؛ فما هي القراءة النقدية التي يقدمها الأستاذ محمد البشير شنيقي لمخرجات هذا المسار؟ وما هي دفوعاته العلمية في وجه الانتقادات الراديكالية التي تُحمل خيار التعريب مسؤولية تراجع المستوى الأكاديمي بالجامعة الجزائرية؟

في الحقيقة هذا الاستنتاج الأخير هو استنتاج مغرض، لأنه صدر ممن يعارضون اللغة العربية ولهم وجهة أخرى تخالف التعليم الوطني واللغة الوطنية والتربية الوطنية، وليس فقط اللسان بل يشمل ذلك مخالفة الهوية والوجدان الجزائري والاحساس الجزائري بكيونوته عبر التاريخ والشعور بأنه مسؤول عن المستقبل، فالذين يعتبرون بأن التعريب تخريب قاموا بتوظيف مقولة عبد الرحمن بن خلدون في غير موضعها،

فابن خلدون لم يقصد اللغة العربية بحكم أنها لغة مقدسة ولغة القرآن الكريم بل كان يقصد فئة الأعراب، فاللغة العربية ساهمت في المعرفة الإنسانية في عصر الازدهار الاسلامي ولا يمكن أبدا أن أداة للتخلف.

التعريب في الجزائر واجه مقاومة عنيفة، ليس فقط من بعض الجزائريين بل من ورائهم التيار الفرانكوفيل العدو لكل ما هو عربي، وبذلك عملية التعريب كانت بمثابة اسرجاع معنوي للسيادة الوطنية، وبحكم أن سياسة الدولة الجزائرية كانت في هذا المسعى فكان لا بد للجامعة أيضا أن تواكب عملية التعريب، فقد سبق الجامعة تعريب كل من التعليم الابتدائي والمتوسط والثانوي، والدفعة الأولى من الحاصلين على شهادة البكالوريا باللغة العربية كانت سنة 1992 فكان لا بد لهذه الدفعة أن تستفيد من تعليم عربي بالجامعة، فشرعت وزارة التعليم العالي في هذه العملية حيث تم تعييني عضوا في لجنة تعريب الجامعة مكلفا بالعلوم الاجتماعية والإنسانية، وبعد الأحداث التي عرفت الجزائر سنة 1992 توقف هذا المشروع قبل أن يستكمل لاحقا.

■ كيف يفسر الأستاذ محمد البشير شنيقي ظاهرة الارتهان الأكاديمي والتقني لـ "الخريطة الأثرية" التي وضعها ستيفان غزال منذ ما يربو عن قرن؟ وهل يعزو هذا الجمود إلى فجوة في الكوادر المتخصصة وعجز في المنجز البحثي الوطني، أم أن هناك كوابح موضوعية حالت دون تحيين هذا الأطلس أو صياغة مشروع بديل يواكب المعايير الأركيولوجية الحديثة؟

في الحقيقة أن الخريطة الأثرية التي أنجزها ستيفان غزال هي خريطة هامة جدا ومرجعية للدراسات الأثرية خاصة، لكن هذه الخريطة لا تشمل كل التراب الوطني. بل هي خريطة لا تتجاوز منطقة الجلفة وبسكرة، وجزء من البيض بينما الصحراء غير موجودة ضمن هذه الخريطة، وبذلك فإن جل الخرائط الفرنسية هي خرائط جزئية وموضعية تتعلق بالأماكن التي درسوها ونقبوا فيها، وبذلك فإنه لا توجد خريطة شاملة للتراب الجزائري، فستيفان غزال اعتمد على خرائط طبوغرافية عسكرية ليس هو الذي

أنجزها لكنه أخذ الخرائط العسكرية ووضع عليها أرقام وعلامات عن أماكن وجود آثار، وقد ركز على الآثار الرومانية بشكل أساسي، وقد انتقدت عمله هذا في هذه الجزئية. حيث أن قلعة بني حماد مثلا غير موجودة وكذلك الشأن لمدين مثل آشير والناصر، وبذلك فالخريطة وضعت لفترة ما قبل التاريخ الموجودة في التل، ولم تكن دراسة عميقة عكس الآثار الرومانية التي جاءت دقيقة جدا بحكم أنه متخصص في هذه الفترة.

ولذلك نجد هذه الخريطة ناقصة جدا بحكم أن الرومان لم يتغلغلوا في المناطق الصحراوية من جهة، ومن جهة ثانية المنظور الاستعماري للتراب الجزائري كانت نظرة محدودة أي أن الجزائر بالنسبة إليهم هي التي احتلوها وفقا للسلطة العثمانية إلى حدود وادي سوف. لكن أقصى الصحراء فرنسا كانت تعتبر نفسها بأنها هي التي اكتشفها مثل اكتشافات أمريكا وأستراليا، ولذلك كانت تعتبرها أرض فرنسية لا يمكن التنازل عنها، وقد استعملت هذه القضية لاحقا أثناء اتفاقيات إيفيان مع جهة التحرير الوطني، فقد استمرت حرب التحرير لسنة كاملة بسبب مناورات ديغول وفرنسا لأجل أن تسمح جهة التحرير في الصحراء لصالح فرنسا، وهو ما جعل الفرنسيون لا يهتمون كثيرا بضم الصحراء الجزائرية ضمن الخريطة الأثرية.

ولذلك فالخريطة الأثرية الفرنسية لم تعد صالحة بعد ظهور تقنيات جديدة في عملية التصوير خاصة التصوير الجوي والأقمار الصناعية لوضع الخرائط الأثرية. لكن هذه العملية يتكفل بها المعهد الوطني للخرائط الطبوغرافية الذي يتبع لوزارة الدفاع، ولذلك يجب أن يكون لدينا مشروع وطني متعدد المسؤوليات بين وزارة الدفاع ووزارة الثقافة ووزارة التعليم العالي والبحث العلمي بالإضافة للسلطات المحلية التي تتبعها هذه المناطق الأثرية، ولذلك فهو مشروع كبير ولا يمكن تصوره بأنه شيء بسيط، فقد حاولت وزارة الثقافة في مختلف الحقب السابقة لكنهم فشلوا في هذا المشروع، فهي تتطلب امكانيات ضخمة، وبالمناسبة وزارة التربية الوطنية طلبت من مجموعة من الخبراء في التاريخ والآثار والجيولوجيا والجغرافيا أن تؤسس لأطلس جزائري عام، وقد

تشكلت اللجنة وكنت ضمنها، وقد انتهينا من وضع التصور العام للعمل، إذ تكفلت حينها بالجانب التاريخي، حيث وضعت خرائط توضيحية للجزائر في مختلف الحقب التاريخية من خلال وضع الأحداث والمواقع الجغرافية لها، حتى تساعد التلميذ في حصر المواقع الأثرية الجزائرية بشل مبسط، وكان المخطط أنه بعد صدور هذا الأطلس الشامل ننتقل إلى أطالس متعددة تاريخية وجغرافية وأثرية، لكن هذا المشروع تعطل عند مرحلة الطبع سنة 2019.

■ ما هي مسببات "الفتور البحثي" في مجال الأركيولوجيا الجزائرية من وجهة نظر الأستاذ محمد البشير شنيقي؟ وهل تذهبون إلى القول بأننا أمام عجز بشري وتقني في استكمال ما بدأه الأولون، أم أن المشكلة تكمن في غياب الرؤية المنهجية التي تربط الجامعة بالميدان الأثري، مما جعل عملية الحفر تتسم بالموسمية والاضطراب؟

هذا الأمر يمكن ربطه بالدافعية، فقد كانت الدافعية لدى الفرنسيين كبيرة للمضي أماما نحو التنقيبات والحفريات من أجل منح شرعية تاريخية للتوسع العسكري انطلاقا من الآثار الرومانية والبيزنطية، فكانت بذلك تستهدف استرجاع هذه القطعة الجغرافية الرومانية على اعتبار أن فرنسا وريثة روما. حتى ديغول صرح يوما بعد اتفاقيات ايفيان "الجزائر ستظل فرنسية مثلما أن فرنسا رومانية"، وقد عبر ستيفن غزال في إحدى مؤلفاته: "ان التاريخ يحدد لنا مهامنا في الجزائر"، وكان يقصد بأن التاريخ هو الذي يحدد طبيعة الاستعمار الفرنسي بالجزائر، ولذلك فقد كانت لهم دافعية كبيرة خصوصا بالنسبة للآثار الرومانية والبيزنطية على غرار تيمقاد وجميلة وتيبازة، فعند ازاحة التراب عن مدينة تيمقاد بباتنة وصل رجل دين مسيحي من العاصمة وأقام قداس على كنيسة رومانية كانت بتييمقاد، وبذلك فعملية التنقيب لم تكن لأسباب علمية بقدر ما كانت لأسباب استعمارية مسيحية بحت، وقد حاول هؤلاء التغافل عن المواقع الإسلامية لأجل طمس هذه المرحلة عن تاريخ الجزائر، هذه الدافعية غابت عنا بعد استرجاع السيادة الوطنية، حيث كانت لنا هموم أخرى على غرار بناء الوطن والقضاء على مخلفات الاستعمار من فقر وحرمان وتخلف وأمية وتهدم

القرى وأبناء الشهداء وأراضي مهمل، بينما عملية التنقيب والحفريات كان ينظر إليها بأنها عملية ثانوية سيتم الرجوع إليها لاحقا.

لكن لا يمكن الجزم بأننا لم نتجاوز ما وصل إليه الفرنسيون في عمليات التنقيب والحفريات الأثرية، فقد قمنا بانجاز كبير في معهد الآثار خصوصا في فترة ما قبل التاريخ. أين برز من الجزائر شخصيات أكاديمية تجاوزت حتى الفرنسيين أنفسهم، ونذكر هنا على سبيل المثال لا الحصر الأستاذ محمد سحنوني الذي استفاد من تجربته في جامعة أنديانا الأمريكية مع مؤسسة الكشف الجوي للآثار، واستعمل طرق حديثة وتمكن من اكتشافات مذهلة في هذا الجانب، ونفس الشيء في مراحل الفترة العثمانية والإسلامية، وما يهمنا هو الوعي لدى الشباب الجزائري ومختلف المؤسسات بهذا الجانب، لأن معظم الآثار التي توجد في الجزائر في أغلبها آثار رومانية وبيزنطية، وبحكم أنها تشكل عائق نفسي أمامهم باعتبار أنها فترة استعمارية عرف معها الجزائري مآسي كثيرة فهو يبتعد عنها تدريجيا.

ويمكن القول في ختام هذه الجزئية بأن الكثير من الباحثين الفرنسيين والابطاليين والألمان والانجليز يقدرّون الجهود التي يقوم بها الباحثون الجزائريون، ويعتمدون على أبحاثهم، ويطبقون ملتقيات لمناقشتها، ولذلك فمستوى البحث في مجال الآثار فيه نوع من الندية، وفي بعض الأحيان يتجاوز الجهود الفرنسية، والحمد لله أنا راض ومقتنع عن ذلك.

■ كيف يقيم الأستاذ محمد البشير شنيقي حصاد المدرسة التاريخية الجزائرية في حقل الدراسات القديمة منذ الاستقلال وحتى اليوم؟ وهل استطاع المنجز الوطني التحرر من الأطر الإستعمارية الموروثة؟ وفي سياق متصل: كيف يصف طبيعة الوشائج العلمية والزمالة الأكاديمية التي ربطته بأقطاب هذا التخصص، من أمثال: رشيد بورويبة، محمد الطاهر عدواني، محمد الصغير غانم، ومحمد سحنوني؛ وما هو أثر هذا التلاحم الفكري في تأسيس الدرس التاريخي بالجزائر؟

من حيث الكم لا يمكن أن يظاها ما أنتجه الفرنسيون ولا من حيث النوع أيضا خصوصا في بعض المواضيع التي تفرد فيها الفرنسيون، ولازالت أعمالهم هذه مرجعا لطلبتنا في التاريخ والآثار القديمة، مع تسجيل نوع من الندية في مواضيع أخرى، ويمكن القول بأن المنتج الجزائري الخاص بهذه الفترة لدينا ما يكفي للتربية والثقافة العامة والاعلام، كما وجب علينا تشجيع عملية الطبع واخراج مختلف الدراسات الأكاديمية من خزائن الجامعات، فالنشر أصبح صعب جدا، شخصا قمت بنشر الكثير من كتيبي الأخيرة على حسابي الخاص، ولا يمكن لكل الباحثين أن يقوموا بهذه العملية.

بالنسبة لعلاقتي مع الباحثين الجزائريين من الصعب أن أميز بين هذا وذاك بحكم أن منهم الزميل والطالب، فهؤلاء كل اجتهد في ميدانه، فمحمد الطاهر العدواني رحمه الله كان معي في إنشاء معهد الآثار، وكان متخصصا في فترة ما قبل التاريخ بحكم أنه قدم رسالة الماجستير في جامعة الإسكندرية حول فترة ما قبل التاريخ بالجزائر، بينما محمد الصغير غانم رحمه الله اهتم بالفترة الفينيقية وقرطاج والمصادر الكنعانية، وقام بدور كبير في جامعة قسنطينة، وترك عملا مرجعيا في هذا الاختصاص، أما محمد سحنوني فهو طالبي، كان ضمن أول دفعة تخرجت من قسم الآثار الذي كنت أديره، وكان لي الشرف أن أرسلت فئة كبيرة من طلبتنا إلى الخارج لأجل التكوين، وقد توزعوا على الكثير من البلدان، مجموعة ما قبل التاريخ بعثنا بهم إلى باريس، ومجموعة الآثار القديمة إلى أكس بمارسيليا، وفئة أخرى لمعهد الدراسات الشرقية في باريس على غرار الأستاذ بويحياوي، وفئة الآثار الرومانية أرسلنا بهم إلى الفاتيكان، وفئة الآثار الإسلامية أرسلنا بهم إلى الإسكندرية على غرار عبد العزيز لعرج والصالح بن قربة، ويمكن القول بأن سياستنا كانت تعتمد على ارسال الطلبة إلى مصدر العلم، حيث تكونوا بشكل ممتاز واستفادت منهم الجامعة الجزائرية لاحقا بعد عودتهم، وهؤلاء هم من اعتمدنا عليهم في عملية التأطير عند تكوين معهد الآثار سنة 1984، ومن بين الطلبة الذين لمعوا في ذلك الوقت هو محمد سحنوني لأنه كانت له فرصة التكوين في الجامعة الأمريكية (انديانا)، فعندما كنت مسؤولا في الجامعة استقبلت مجموعة من الباحثين الأمريكيين، وبالضبط

من جامعة انديانا وعقدنا معهم اتفاقية، وذلك من خلال التكفل بطلبة من عندنا هناك في أمريكا، فتكفلت هذه البعثة بالطالب محمد سحنوني بعدما كان يدرس في باريس، وقد اكتسب خبرة كبيرة جدا، وهو ما جعل احدى الجامعات الاسبانية تطلب خدماته (جامعة كاتالونيا) ولا يزال إلى وقتنا الحالي يشتغل بها، وقد كان محمد سحنوني يجلب معه الباحثين الاسبان والأمريكان في الاكتشافات التي قام بها في موقع عين الحنش بالعلمة. أما رشيد بورويبة فهو أستاذ الأجيال، فقد ارتبط اسمه بقلعة بني حماد، ورغم أنه لم تتح لي فرصة الدراسة عنده، إلا أنني أصبحت زميلا معه في القسم والمعهد، وكانت لي معه علاقات وطيدة.

■ بين مدرسة تكتفي بـ "المرجعية الفينيقية" كفاتحة للتاريخ الحضاري بالمنطقة، وأطروحة تؤصل للمرحلة "النوميديّة" كإطار وطني مستقل؛ أين يتموضع الأستاذ محمد البشير شنيقي ضمن هذا الجدل الفكري؟ وكيف يقرأ الجدلية القائمة بين "الوافد الحضاري" و"المنجز المحلي" في تشكيل الهوية التاريخية القديمة للجزائر؟

هذا السؤال يتعلق بما يسمى بالاسقاط التاريخي، وذلك من خلال انتقاء موضوعات تاريخية تخدم الايديولوجيا، وهذا الأمر لا يخدم الجانب الأكاديمي بتاتا، بينما في الأمور المتعلقة بالتربية والتعليم يجيز لنا عملية الاسقاط التاريخي من خلال اختيار ما يفيدنا من فترات تاريخية مختلفة ما نرى فيه شحن وطنية ونفسية وثقافية تتناسب مع نظرنا لتكوين الأجيال الصاعدة وتوعية المجتمع، وهو ما يسمى بالتوظيف التربوي التوجيهي، وهو ما ينبغي للمدرسة أن تتكفل به وليس الجامعة، لأن التاريخ يتناول بمستويات، هذا المستوى الذي يتمثل في تكوين الشخصية يكون مدرسي واعلامي ومجتمعي وثقافي. لكن في مستوى أعلى في مرحلة الجامعة علينا أن ندرس التاريخ بدقة تامة وبتجرد وبموضوعية.

ولذلك يجب على الدراسات الأكاديمية أن تبتعد عن الشوفينية التاريخية، وهذا الأمر عادة ما نجده لدى الباحثين الشباب المتحمس من خلال توزيع صكوك الوطنية والتخوين على بعض الشخصيات البعيدة عنا من حيث الاطار الزمني، فماسينيسا

وسيفاكس مثلاً كلاهما كان ملكاً على قومه ومملكته، وعندما حل الرومان بالمنطقة، كان تقدير كل منهما التحالف مع الجهة الأقوى والتي ستنتصر في الميدان (الرومان، القرطاجيين) بعيداً عن الوطنية والخيانة وهي أحكام ظهرت في الفترة المعاصرة ولا يمكن أن نسقطها على هذه الفترة الزمنية البعيدة، سيفاكس وضع يده في بداية الأمر مع الرومان قبل أن ينقلب عليهم ويتحالف مع القرطاجيين بينما ماسينيسا كان من الفرسان المشاركين حروب القرطاجيين ضد الرومان قبل أن يتحالف مع الرومان لاحقاً، وهذا الأمر يخضع لتوازنات ظرفية، ولا يمكن نقلها إلى بيئة زمنية أخرى والشروع في البحث عن تفسيرات لها بحمولة أيديولوجية معينة.

■ لو أردنا تلخيص عصارة تجربتكم الحافلة في رسالة أخيرة؛ فما هو التوجيه الذي يخص به الأستاذ محمد البشير شنيقي جيل الشباب من المختصين في التاريخ والأثار، ليكونوا خير خلف لخير سلف في صون الذاكرة الوطنية؟

أعتقد أن ما قلته آنفاً كله يصلح أن يكون توجيهات أو نصائح، وإذا كنت أدعو إلى نصيحة ما، فأقول يجب أن يكون المؤرخ متبصراً. خاصة المؤرخ الأكاديمي الجامعي الذي مر بمرحلة الدراسات العليا، عليه المتعنى في الحقائق التاريخية واستخراج العبر منها واتخاذ مواقف ذات طابع علمي صرف من غير الارتواء في التصنيفات الآنية المتغيرة، كما عليه أن يتحمل المسؤولية فيما يكتب: مسؤولية معنوية، مسؤولية ضمير ومسؤولية حقيقة.